الفصل الخامس
آثار منهج القرضاوي في الدعوة إلى الله عز وجل

الدعوة إلى الله تعالى عقد أبرمه الدعاة بينهم وبين صاحب الدعوة ، وقد وعدهم الله تعالى إحدى الحسنيين ، إما أن تقر أعينهم في الدنيا فيروا ثمرة دعوتهم ، وإما أن يدخر الله لهم أجرهم ليوفوا أجورهم كاملة يوم القيامة .

وينبغي أن نقرر هنا أمرين :

أولاً : أن الدعاة إلى الله عز وجل أجراء عند خالقهم ، والأجير ليس من حقه أن يُوجه ، ولكن شأنه أن يُوجَه ، يقول الشهيد سيد قطب : «إنهم - أي الدعاة - أجراء عند الله ، أينما وحيثما وكيفما أرادهم أن يعملوا عملوا وقبضوا الأجر المعلوم ، وليس لهم ولا عليهم أن تتجه الدعوة إلى أي مصير ، فذلك شأن صاحب الأمر لا شأن الأجير»[1].

الثاني : أن الداعية إلى الله يبذل جهده؛ غير أنه إن لم ير ثمرة جهده، فهذا لا يدعوه إلى اليأس وترك العمل ، ولا أن يستمع إلى المثبطين ، وللشيخ القرضاوي أبيات يرد فيها على هؤلاء فيقول :

عجبت لهم قالوا : تماديت في المنى ... وفي المثل العليا في المرتقى الصعب
فأقصر ولا تجهد يراعك إنما ... ستبذر حباً في ثرى ليس بالخصب
فقلت لهم مهلاً فما اليأس شيمتي ... سأبذر حبي والثمار من الرب
إذا أنا بلغت الرسالة جاهداً ... ولم أجد السمع المجيب فما ذنبي ؟![2]

---

(١) انظر : معالم في الطريق الشهيد سيد قطب ط دار الشروق الطبعة الرابعة عشرة ١٩٩١ م ص ١٩٧ .

(٢) انظر : نفحات ولفحات ص ١١٢

وهذا ما أشار إليه حديث مسلم عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : «عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد ...»[1].

أسباب انتشار القرضاوي وأفكاره :

وجهود القرضاوي لا يستطيع إنكارها إلا حاقد أو حاسد ، ذلك أن الشيخ قد شرق بعلمه وغرب ، وطاف كثيراً من دول العالم ناشراً فكره ، باثاً علمه .

وقد ساعد الشيخ على انتشار أفكاره في كثير من دول العالم عدة أمور من أهمها :

١ ـ تداول الكتاب الإسلامي، حتى غدا الأكثر مبيعاً في معظم المعارض الدولية المعروفة .

٢ ـ انتشار وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة؛ حتى غدا العالم كما قيل قرية صغيرة .

٣ ـ دخول القنوات التلفزيونية إلى ما يعرف بالقنوات الفضائية .

٤ ـ كثرة أسفار الشيخ إلى عدد كبير من دول العالم محاضراً ومعلماً .

٥ ـ اشتراك الشيخ في عدد كبير من المجامع الفقهية والعلمية .

٦ ـ اشتراك الشيخ في عدد كبير من مجالس الكليات والجامعات الإسلامية.

٧ ـ تعرض الشيخ لكثير من القضايا المعاصرة التي تمس الواقع ، ومعالجتها بالدليل الجزئي في ضوء المقاصد الكلية للشريعة .

٨ ـ تبني الشيخ للتيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة .

٩ ـ انتماء الشيخ منذ نعومة أظفاره لجماعة «الإخوان المسلمون» والتي

---

(١) رواه البخارى فى الطب (٦-٥٧) ومسلم فى الإيمان (٢٢٠) عن ابن عباس.

انتشرت في أكثر من سبعين دولة، وأصبحت كتب الشيخ مرجعاً أساسياً من مراجعهم .

١٠ ـ انفتاح الشيخ على عدد كبير من الجماعات الإسلامية، وحسن العلاقة بهم كما هو الحال مع الجماعة الإسلامية في الهند، وشيخها العلامة أبو حسن الندوي رحمه الله .

١١ ـ استخدام الشيخ لما جد من الوسائل الدعوية الحديثة وآخرها «الإنترنت» .

١٢ ـ تعدد عطاء الشيخ، فلم يكن داعية أو خطيباً أو فقيهاً فحسب؛ بل هو مع هذا كله:

- شاعر فحل .
- وأديب أصيل .
- وكاتب مبدع .
- واقتصادي بارع .
- ومفكر نابه .
- ومجادل يقظ .

١٣ ـ توطيد الشيخ لعلاقته بالمؤسسات الدعوية الرسمية ورجالها ، ودعوته إلى مد الجسور بين دعاة الصحوة ورجال هذه المؤسسات، فإن منهم مخلصون كثر .

١٤ ـ اكتساب الشيخ ثقة كثير من الدعاة في دول الإسلام المختلفة .

١٥ ـ ثقل الشيخ العلمي بين أقرانه، حتى فاق الكثير منهم .

١٦ ـ حسن استنباط الشيخ للمعنى المقصود من الدليل .

هذا وسيكون الحديث عن آثار الشيخ على النحو التالي :

- آثاره على المكتبة الإسلامية .
- آثاره على الجامعة الإسلامية .
- آثاره على البلاد الإسلامية .
- آثاره على الحركة الإسلامية .
- آثاره على تلاميذه .

١ - آثاره على المكتبة الإسلامية .

حفلت المكتبة الإسلامية في القرن المنصرم بأعداد هائلة من الكتب الإسلامية، وكان من هذه الأعداد الهائلة، والكميات الضخمة عدد لا بأس به من الكتب القيمة، والتي كانت المكتبة في حاجة ماسة إليها .

وقد برز على الساحة الإسلامية عدد من الكتاب البارعين ، والمؤلفين المرموقين ، من أمثال محمد رشيد رضا، وعبد الرحمن السعدي، وعبد الوهاب خلاف، وعلي الطنطاوي ، ومحمد البهي، ومحمد الغزالي، وسيد قطب، وناصر الدين الألباني، ومحمد بن عثيمين ، ومصطفى السباعي ، وأبو الحسن الندوي ، وابن باز .

كما استطاع بعض الكتاب أن يحفروا أسماءهم في سجل الإسلاميين ليس بمجرد الكتابة فحسب ، ولكن بحسن الكتابة ، وروعة التأليف ، وجودة العطاء ، ولا يستطيع إنسان منصف أن ينكر هذه الكتب مثل :

- في ظلال القرآن ـ سيد قطب .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة والضعيفة – الألباني .
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – أبو الحسن الندوى.
- خلق المسلم – محمد الغزالي .

وقد كان للشيخ القرضاوي عطاء بارز في الكتابة[١] والتأليف حيث أثرى المكتبة الإسلامية ، بتراث ضخم ، يشهد له بذلك كل منصف، ولا ينكره عاقل إلا عن جهل فاضح أو قصد سيئ .

كتاب «فقه الزكاة»:

ولعل من أروع كتب الشيخ وأكثرها نفعاً كتابه ذائع الصيت فقه الزكاة وفي هذه الأسطر سألقي الضوء على هذا الكتاب من حيث :

---

(١) انظر : ما سبق في فصل «الوسائل والأساليب الدعوية في منهج القرضاوي» مبحث «الكتب».

١ – حاجة المكتبة الإسلامية إلى هذا الكتاب .

٢ – مهمة الكتاب .

٣ – تقبل الأوساط العلمية وأهل العلم لهذا الكتاب .

أولاً : حاجة المكتبة الإسلامية إلى هذا الكتاب :

تعد الزكاة ركناً أساسياً من أركان هذا الدين ، وأحكام هذه الفريضة أحكام كثيرة ومتشعبة ، وقد تناول هذه الشعيرة علماء الإسلام كل في دائرة اختصاصه ، فالمفسرون يتناولونها عند تفسير الآيات التي تتعلق بالزكاة والصدقات ، والمحدثون يتعرضون لها عند شرح أحاديثها ، والفقهاء يتناولونها باعتبار أنها ركن من أركان الإسلام وباب أصيل من أبواب الفقه ، هذا فضلاً عن أصحاب الفقه المالي والإداري في الإسلام (١).

وعلى الرغم من كثرة الكتابة في الزكاة وما يتعلق بها؛ إلا أن المكتبة الإسلامية كانت في حاجة إلى كتاب جامع يجمع هذه المتفرقات التي حوتها أمهات الكتب، ومختلف التصانيف ، والذي دعا الشيخ إلى تأليف هذا السفر المبارك أنه رأى أن المكتبة بحاجة إلى مثل هذا العمل من عدة نواح :

١ ـ حاجة المكتبة إلى كتابة جديدة عن الزكاة بأسلوب عصري؛ ووضعه في قالب عصري .

٢ ـ كثرة المسائل الخلافية في الزكاة وكثرة آراء الفقهاء فيها ، دون الترجيح بين هذه الأقوال جعل المفتين يتخبطون في الفتوى .

٣ ـ ظهور أمور جديدة لم تكن قبل عصرنا لم يعرفها فقهاؤنا القدامى، ولا المتأخرون ، وهذه الأمور تحتاج إلى إصدار حكم في شأنها ، وذلك مثل الزكاة في العمارات الشاهقة، والمصانع الكبيرة .

---

(١) انظر : فقه الزكاة ج١ ص ٢٣ ، ٢٤ باختصار .

٤ ـ وجود أفهام خاطئة لدى كثير من المثقفين؛ كمن يتصور بأن الزكاة بضعة قروش أو ريالات يأخذها الفقير من ولي نعمته الغني ، ومن يتصور بأن الزكاة لا تصح لعصرنا الحديث[١] .

ونظرا لعدم وجود كتاب بهذه المواصفات فقد تنادى المصلحون بوجوب ما يسد هذه الثغرة ، ومن ثم فقد أعلن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية قبل صدور هذا الكتاب عن مسابقة كبرى في عدة بحوث إسلامية ، دعا فيها رجال الفكر والقلم من أنحاء العالم الإسلامي إلى كتابة ما فيها ، وكان منها « الزكاة في الإسلام » .

وفي عام ١٩٦٣م انعقد اجتماع لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة وحضره ممثلون لأكثر من أربعين دولة وكان من أهم قراراته : تخصيص الدورة القادمة لعدة موضوعات، كان على رأسها موضوع الزكاة والموارد المالية في الإسلام وطرق الاستثمار وعلاقتها بالأفراد والمجتمعات[٢] .

ثانياً : مهمة الكتاب :

ونظراً لحاجة المكتبة لمثل هذا الكتاب ، فقد كانت مهمة الشيخ القرضاوي من وراء هذا الكتاب محاولة الوفاء بالمقاصد الآتية :

١ ـ تجميع ما تبعثر عن الموضوع في المصادر الأصلية من مصادر الثقافة الإسلامية، وعرضه عرضاً جديداً يعين على تصور حكم الإسلام فيه .

٢ ـ محاولة تمحيص ما ورد في الموضوع من خلافات كثيرة؛ بغية الوصول إلى أرجح الأمور .

٣ ـ محاولة إبداء الرأي فيما جد من مسائل وأحداث لم يعرفها السابقون .

٤ ـ تجلية حقيقة الزكاة ، والموازنة بينها وبين الضرائب الحديثة .

---

(١) انظر : فقه الزكاة ج١ ص ٢٥ ـ ٢٩ بتصرف.

(٢) انظر : فقه الزكاة ج١ ص ٣٠ .

٥ ـ بيان أهداف الزكاة وآثارها في حياة المجتمع المسلم .

٦ ـ تصحيح ما شاع من أفكار خاطئة حول الزكاة[١] .

ثالثاً : تقبل الأوساط العلمية وأهل العلم لهذا الكتاب :

لم يكد «فقه الزكاة» يرى النور ويخرج جنيناً من رحم المطبعة حتى تلقفه الناس شراء ، وقلبته أعينهم قراءة ، وقرظته قلوبهم شكراً ، وأضفت ألسنتهم الكتاب وصاحبه شكراً وثناءً .

ولم يكن المادحون للشيخ هم المشتغلون بالعلوم الشرعية فحسب ، بل كان المدح والثناء للكتاب وصاحبه ، من المشتغلين بالعلوم الشرعية والمعنيين بالعلوم الاقتصادية والمالية والقانونية والاجتماعية ، وكم وصل إلى الشيخ من الرسائل من كبار الشخصيات الإسلامية والعالمية تنوه بالكتاب وصاحبه ، وما بذل فيه من جهد جهيد ، وكان من هؤلاء على سبيل المثال :

١ ـ الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ .

٢ ـ الشيخ أبو الحسن الندوي ـ رحمه الله ـ .

٣ ـ الأستاذ مصطفى الزرقا ـ رحمه الله ـ .

٤ ـ الشيخ عبد الله بن زيد المحمود ـ رحمه الله ـ .

٥ ـ الشيخ على الطنطاوي ـ رحمه الله ـ .

٦ ـ الأستاذ البهي الخولي ـ رحمه الله ـ .

٧ ـ الدكتور محمد البهي ـ رحمه الله ـ .

٨ ـ الدكتور محمود أبو السعود ـ رحمه الله ـ[٢] .

---

(١) انظر : فقه الزكاة ج١ ص ٣١ .

(٢) انظر : فقه الزكاة ج١ ص ١٨ ، وانظر نفحات ولفحات ص ٢٧ .

ومما قيل في الكتاب :

قال الشيخ أبو الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ: إنه كتاب القرن ـ الرابع عشر الهجري ـ في الفقه الإسلامي .

قال الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ لم يؤلف في الإسلام مثله في موضوعه .

وقال عنه الأستاذ محمد المبارك رحمه الله في مقدمة كتابه «نظام الإسلام الاقتصاد»: ومن الكتب الحديثة ما هو خاص بموضوع معين ، ومن هذا النوع كتاب «فقه الزكاة» للأستاذ يوسف القرضاوي ، وهو موسوعة فقهية في الزكاة استوعبت مسائلها القديمة والحديثة ، وأحكامها النصية والاجتهادية على جميع المذاهب المعروفة المدونة ، لم يقتصر فيها على المذاهب الأربعة ، مع ذكر الأدلة ومناقشتها ، وعرض لما حدث من قضايا ومسائل ، مع نظريات تحليلية عميقة .. وهو بالجملة عمل تنوء بمثله المجامع الفقهية ، ويعتبر حدثاً هاماً في التأليف الفقهي ... جزا الله مؤلفه خيراً »[1].

هذا وقد اعتنى به المسلمون في أقطار الأرض، فنقلوه إلى لغاتهم؛ بعضها بإذن الشيخ، وبعضها بغير إذن منه، ولم يمانع الشيخ بعد أن علم بذلك وسأل الله النفع .

ومن اللغات التي ترجم إليها الكتاب :

١ ـ اللغة الأوردية في الهند وقد ترجم مختصراً .

٢ ـ اللغة الأوردية في باكستان وقد ترجم الكتاب كاملاً .

٣ ـ اللغة التركية .

٤ ـ اللغة البنغالية .

---

(١) انظر: فقه الزكاة ج١ ص ١٩ ، ونفحات ولفحات ص ٢٢ .

٥ – اللغة الأندونيسية .

٦ – اللغة الماليزية وقد كلفت جامعة ملايو لجنة بترجمة الكتاب .

٧ – اللغة الإنجليزية وقد تبنى ذلك المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي التابع لجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

كما أن كثيراً من الدول الإسلامية جعلت الكتاب مصدراً أساسياً لكل القوانين التي تتعلق بالزكاة (١).

٢ – آثار القرضاوي على الجامعات الإسلامية .

نظراً للأثر الذي تركته كتب الشيخ على المكتبة الإسلامية ، فقد أصبح له شهرة واسماً بين طلاب العلم صغارهم وكبارهم ، حتى غدا أساتذة الجامعات العربية والإسلامية يوصون تلاميذهم على اقتناء كتب القرضاوي، ومنهم من قام بتدريس كتب الشيخ لما فيها من علم نافع وفكر ثاقب ودعوة صادقة .

كتب للشيخ درست في الجامعات الإسلامية :

ومن الكتب التي تم تدريسها للطلاب في الجامعات الإسلامية :

١ ـ ديوان نفحات ولفحات ـ كلية الدعوة جامعة الأزهر .

٢ ـ في فقه الأولويات ـ كلية الدعوة جامعة الأزهر.

٣ ـ الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ـ كلية الدعوة جامعة الأزهر .

٤ ـ المسلمون والعولمة ـ كلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر ـ قسم الدراسات العليا.

٥ ـ ثقافتنا بين الانغلاق والانفتاح ـ كلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر ـ قسم الدراسات العليا.

---

(١) انظر : فقه الزكاة ج١ ص ١٩ ، ٢٠ باختصار .

٦ ـ المدخل لدراسة السنة النبوية ـ كلية الشريعة جامعة قطر .

٧ ـ مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ـ كلية الشريعة جامعة قطر ، كلية الشريعة جامعة الأردن .

٨ ـ الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ـ كلية الشريعة جامعة قطر ، والجزائر .

٩ ـ الخصائص العامة للإسلام ـ كلية الشريعة جامعة قطر .

١٠ ـ المدخل لمعرفة الإسلام ـ كلية الشريعة جامعة قطر .

١١ ـ الحلال والحرام ـ كلية التربية بمكة المكرمة .

كما أن هناك رسائل جامعية تناولت بعض كتبه ومنهم الباحثة الباكستانية جميلة شوكت والتي نالت بها درجة «الماجستير» ، ولم تكن جامعتي «البنجاب» و «كراتشي» بأقل اهتماماً من غيرهما من الجامعات .

وقد شرع شبان من الجامعات الإسلامية في نيل عدد من الرسائل متناولين الشيخ القرضاوي من جهات متعددة ، فمنهم من تناول الشيخ من الناحية الدعوية ، ومنهم من تناوله من الناحية الفقهية ، ومنهم من تناول الشيخ في كتاباته السياسية ، وكتاباته التربوية .

٣ - آثاره على البلاد الإسلامية .

تعد كتب الشيخ القرضاوي سفراء إلى الدول الإسلامية تنوب عن الشيخ في المحافل العلمية ، والمجامع الفقهية ، ودور العبادة ، ولما كان لكتب الشيخ ثقلها العلمي ـ كما بينا سابقاً ـ فقد كانت دور النشر والترجمة تتهافت على ترجمة كتب الشيخ ونشرها .

وعل سبيل المثال فإن كتاباً ككتاب « الحلال والحرام » والذي تجاوزت طبعاته الخمسين طبعة ، قد ترجم هذا الكتاب إلى لغات عديدة منها الإنجليزية والفرنسية ، والأردية والفارسية والماليزية والأندونيسية ، والمليبارية ، والأسبانية ،

والسواحلية والرومانية والصينية ، وقد ترجم الكتاب بالتركية مرتين كل مرة طبعة عشرة آلاف .

وآثار الشيخ على البلاد الإسلامية ظاهرة رأي العين ، بادية بدو الشمس رابعة النهار في يوم لا غيم فيه ، وهذا ما لا ينكره حتى خصوم الشيخ [١] .

ولقد بدت آثار الشيخ علىَ البلاد الإسلامية في العمل بكثير من فتاويه ، لا سيما ما اتفق مع روح الشريعة ، ووافق تطورات العصر ، واتسم بالواقعية .

ولعل من أكثر البلاد تأثراً بفكر الشيخ مصر والسودان والجزائر وتونس والأردن وفلسطين وباكستان إلى غيرها من العديد من دول الإسلام .

ولقد شهد بهذا التأثير العالم الرباني أبو الحسن الندوي حين زار الشيخ القرضاوي «لكنهو» وحاضر في «ندوة العلماء» وقدمه العلامة أبو الحسن الندوي، فلما انتهى الشيخ القرضاوي من كلمته قال له الشيخ الندوي: إن الناس قد تأثروا بكلامك ، وإن لم يفهموه ؛ لأن للكلام روحاً ، قد يصل إلى المستمع مباشرة وإن عجز المترجم عن توصيله .

وقال له ذات مرة : إن في كلامك روحاً وحرارة خاصة، وهذه قلما تترجم؛ لأن المترجم يترجم المعاني والأفكار، ولا يترجم الحرارة والروح إلا مترجم يملك ما تملك[٢] .

٤ - آثاره على الحركة الإسلامية .

الحركة الإسلامية كانت ولا تزال الشغل الشاغل للشيخ القرضاوي حتى أصبحت أول همومه وأولاها اهتماماً ، لذا فقد شغلت الصحوة قلب الشيخ وفكره وقلمه ولسانه ، وحركت عواطفه وعقله.

---

(١) قرأت لأحدهم مقالاً على الشبكة العالمية «الإنترنت» تطاول فيه على الشيخ القرضاوي ، لكنه مع هذا لم يستطع أن ينكر آثار الشيخ على ذوي التوجه الإسلامي ، بل إنه افتتح مقاله قائلاً : و د : القرضاوي أحد أعمدة التوجيه الإسلامي في هذا العصر ولا ريب ، ومن ذوي التأثير الفعال .

(٢) انظر : الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته ص ٢٤ .

وهذا ما جعل شباب الحركة الإسلامية على مختلف فصائلها ، يتأثرون بالشيخ وكتاباته ، وقد غدا ذلك واضحاً حتى رأينا شباب الحركة يتغنون بكلماته في معسكراتهم ومنتدياتهم ، وفي أفراحهم وجهادهم ، ومن من شباب الحركة لا يحفظ نشيد « مسلمون » أو لم يسمع به ، ويتغنى به ؟

مسلمون مسلمون مسلمون حيث كان الحق والعدل نكون

نرتضي الموت ونأبى أن نهون في سبيل الله ما أحلى المنون

لقد كانت كلمات هذا النشيد وغيره من أناشيد الشيخ محركة لنفوس شباب الصحوة في كل مكان ، وموقظة للإيمان في قلوبهم ، ومشعلة لجذوة الجهاد في صدورهم ، ومحفزة للعمل في عزائمهم .

ولقد أخذ الدعاة من مختلف فصائل الحركة الإسلامية يقتبسون من كلمات الشيخ ، ويتبنون أفكاره ، وينهلون من علمه ، فمنهم من أسدى الشكر للشيخ، ومنهم من أخذ ما أخذ ، واقتبس ما اقتبس دون أن يشير للشيخ أدنى إشارة ، ومنهم من أخذ ما أخذ و أشار إلى اسم كتاب الشيخ دون أن يذكر اسم الشيخ ، ربما لأن ذكر اسم الشيخ يقلق البعض، ويخيف آخرين .

وهناك صنف آخر ربما أخذ من كلام الشيخ وأفكاره فقدم وأخر ، وحذف وأضاف ، ثم جعل كأن الفكرة من عنده ، أو كأن الكلام من بنات أفكاره .

وفي الإسكندرية قام أحد دعاتها وهو الشيخ محمد إسماعيل المقدم بعرض كتاب « فقه الزكاة » للشيخ القرضاوي وأثنى على الكتاب ثناء طيباً ، والشيخ محمد إسماعيل سلفي التوجه ، لكن الرجل لم يمنعه اختلافه مع الشيخ القرضاوي من أن يأخذ من علمه ، ولما اعترض على ذلك بعض تلامذته متحججاً بأن في ذلك دعاية للشيخ القرضاوي لم يلتفت الشيخ محمد إسماعيل لهذا القول [1].

---

(١) حدثني بذلك أحد محبي الشيخ محمد إسماعيل.

وهناك أيضاً أحد الدعاة [1] اقتبس من كتاب الشيخ «أين الخلل» دون أن يذكر اسم الشيخ وكل ما قاله هو : قال صاحب كتاب «أين الخلل» .

وآخر في حديثه عن أحداث البوسنة والهرسك ، ساق قصيدة الشيخ القرضاوي «يا أمتي وجب الكفاح» دون أن يشير إلى صاحب القصيدة ولا مصدرها .

وثالث ذكر في مقدمة كتاب له أبياتاً للشيخ من قصيدته الرائعة «في ذكرى المولد» في وصف شباب الصحوة :

الله يعرفهم أنصار دعوته والناس تعرفهم للخير أعواناً
والليل يعرفهم عباد هجعته والحرب تعرفهم في الروع فرساناً

ومع هذا لم يذكر القائل ، ولا مصدر القول ، وقد أثر عن السلف «إن من بركة العلم أن يسند إلى قائله» .

الجماعة الإسلامية في مصر وأثر القرضاوي عليها :

تعد الجماعة الإسلامية فى مصر أحد فصائل العمل الإسلامى، وقد ظهرت الجماعة الإسلامية فى سبعينيات القرن الماضى، وكان من أبرز دعاتها الشيخ عمر عبد الرحمن فك الله أسره.

وقد عرفت الجماعة الإسلامية باستخدام القوة والعنف فى دعوتها، وجعل تغيير المنكر باليد من أكبر اهتماماتها، وكان الجهاد فى معتقد أبنائها غاية لا وسيلة، وشهدت فترة الثمانينيات معارك طاحنة بين أبناء الجماعة ورجال الأمن فى مصر، أسفرت هذه المعارك عن قتل عدد كبير من أبناء الجماعة، واعتقال عدد أكبر منهم، وفى الخامس من يوليو عام ١٩٩٧م؛ أدهشدت الجماعة الإسلامية

---

(١) عمدت إلى عدم ذكر أسماء الدعاة لتكون المعاملة بالمثل، وإن كنت لا أحمل لأحدهم ضغينة أو حسداً، بل هو كل الحب والتقدير والثناء.

المهتمين بالعمل السياسى والحركة الإسلامية، فى مصر والعالم كله؛ ببيان ألقاه أحد أفراد الجماعة إلى إيقاف العمليات القتالية، وحقن الدماء.

ثم أصدر القادة التاريخيون للجماعة مجموعة من الإصدارات تحت عنوان: سلسلة المفاهيم فى يناير ٢٠٠٠م وهى كالتالى:

١ - مبادرة إنهاء العنف ... رؤية شرعية ونظرة واقعية.

٢ - تسليط الأضواء على ما وقع فى الجهاد من أخطاء.

٣ - حرمة الغلو فى الدين وتكفير المسلمين.

٤ - النصح والتبيين فى تصحيح مفاهيم المحتسبين.

ثم تابع المؤلفون كتاباتهم، فأصدروا ثلاثة كتب أخرى وهى:

١ - تفجيرات الرياض الأحكام والآثار.

٢ - استراتيجية وتفجيرات الرياض الأحكام والآثار.

٣ - نهر الذكريات المراجعات الفقهية [١].

وتعد هذه الإصدارات وما يتبعها كذلك بمثابة مراجعات فقهية وحركية للجماعة الإسلامية، والذى يهمنى أن أشير إليه هنا: أن هذه الكتب السبعة؛ لم يخل كتاب منها من اقتباس من كتب الشيخ القرضاوى، سوى الكتاب الرابع «النصح والتبيين»؛ قد يطول فى بعض الكتب، وقد يقصر فى بعضها.

هذا على الرغم من أن كتب الشيخ القرضاوى كانت فى فترة من الفترات من الممنوعات؛ بل من المحرمات؛ بل كان الشيخ القرضاوى فى نظر بعض أفراد الجماعة مبتدعا، وغالى بعضهم فعدّ الشيخ من علماء السلطة، ثم رماه بالكفر.

---

(١) ثم أصدروا بعد ذلك إصدارات أخرى قاربت العشرين كتابا.

لكن جاءت هذه الكتب لتنصف الشيخ أيما إنصاف، حتى رأينا المؤلفين يصفون الشيخ بقولهم: **العلامة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى** [1].

بل إن أصحاب هذه المراجعات الفقهية للجماعة الإسلامية يوجهون النصيحة للحركة الإسلامية للأخذ بنصيحة الشيخ القرضاوى فيقولون: وعلى الحركة الإسلامية أن تقدم المصالح الضرورية على الحاجية والتحسنية، **وعليها أن تأخذ بنصيحة العلامة الكبير الدكتور يوسف القرضاوى**[2].

وكانت أهم الكتب التى اقتبس منها قادة الجماعة الإسلامية؛ من كتب الشيخ القرضاوى هى:

١ - الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف.

٢ - أولويات الحركة الإسلامية فى المرحلة القادمة.

٣ - فى فقه الأولويات [3].

بل لقد كان كتاب الشيخ القرضاوى «**الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف**» مرجعا أساسيا للكتاب الثانى من سلسلة تصحيح المفاهيم، وهو «حرمة الغلو فى الدين وتكفير المسلمين». وبنظرة متفحصة لهذا الكتاب، نرى أنه يتكون من بابين ينقسم الباب الأول منهما إلى أربعة فصول، وينقسم الباب الثانى إلى ثلاثة فصول، ويكاد يكون الباب الأول بفصوله الأربعة؛ بمثابة اختيار للفصل الأول والثانى من كتاب الشيخ القرضاوى «**الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف**».

وقد أشار المؤلفون إلى ذلك فى كتابهم، ففى الفصل الأول قالوا: حكمة

---

(١) انظر: حرمة الغلو فى الدين ناجح إبراهيم وإخوانه ص ١٩ مكتبة التراث الإسلامى ط. الأولى ٢٠٠٢م.

(٢) تفجيرات الرياض كرم زهدى وإخوانه مكتبة التراث الإسلامى ط الأولى ٢٠٠٣م.

(٣) أخطأ المؤلفون فى اسم هذا الكتاب، فكانوا يشيرون إليه باسم «فقه الموازنات».

التحريم الغلو فى الدين: نستعرضها كما ذكرها **العلامة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى** باختصار [1].

وفى الفصل الثانى قالوا: للغلو مظاهر يعرف بها، ذكرها **الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى**، ونحن نسوقها مختصرة مع بعض الإضافات[2].

وفى الفصل الثالث قالوا: أسباب الغلو فيه: ذكرها **الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى**، ونحن نسوق بعضها باختصار مع بعض الإضافات[3].

أما الباب الثانى؛ فقد تعددت النقول كذلك من كتاب **الشيخ القرضاوى** «**الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف**» فى مواضع متعددة، أشار المؤلفون فيها إلى كلام الشيخ وإن لم يشيروا إلى اسم الكتاب، ولا أرقام الصفحات.

وبهذا يمكن القول أن هذا الكتاب الذى بلغ (٢٠٠) صفحة كاملة؛ منه أكثر من ٥٠ صفحة هى: أفكار وكلمات الشيخ نصا واختصارا، وهذا يعنى أن أثر الشيخ على فكر هؤلاء القادة فى مراجعاتهم الفقهية والحركة ظاهر فى هذا الكتاب ظهورا واضحا، كما أنه ظاهر كذلك فى بقية الكتب السبعة؛ سوى كتاب واحد كما بيّنا سابقا.

من كلام الدكتور: ناجح إبراهيم (أبرز مناظرى الجماعة الإسلامية بمصر):

وقبيل طبع هذا الكتاب وصل إلى فضيلة الشيخ القرضاوى من الدكتور ناجح إبراهيم كتابان؛ الأول: تطبيق الأحكام من اختصاص الحكام، والثانى: الحاكمية نظرية شرعية .. ونظرية واقعية. وقد كتب الدكتور ناجح إبراهيم إهداء لفضيلة الشيخ على كل كتاب من الكتابين، وقد استأذنت شيخنا فى نقل هذا الكلام فأذن، وهذا كلام الدكتور ناجح إبراهيم:

---

(١) انظر: حرمة الغلو فى الدين ص ٩.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧.

(٣) المرجع السابق ص ٥٥.

الإهـــداء الأول: أهدى كتابى «تطبيق الأحكام من اختصاص الحكام» لمولانا وعالمنا وشيخنا وأستاذ الأجيال المسلمة، فضيلة الدكتور يوسف القرضاوى، رمزا لمحبتنا الكبيرة لك، ودليلا على مودتنا لفضيلتك، فقد نبت حبك فى قلوبنا منذ ريعان شبابنا، ومنذ قرأنا «النونية» ونحن نحبك حبا جما وهذا الحب لم يخفت لحظة منذ السبعينيات وحتى اليوم، وكل من قال لكم غير ذلك فهو لم يعرفنا ففضيلتك صاحب فضل علينا، وعلى الجماعة الإسلامية، وعلى كل الحركات الإسلامية ... ولكن الظروف هى التى حالت دون التعبير عن مشاعرنا..

واليوم نجدد لك الحب والإكبار والإجلال والتقدير من قلوبنا..

وأرجو أن يعجبك هذا الكتاب وينال رضاك.

الإهداء الثـــانى: فضيلة الشيخ العلامة الدكتور يوسف القرضاوى ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وتحية من عند الله مباركة طيبة، وسلاما عاطرا أرق من نسيم الصباح..

وبعد ... فيشرفنى ويسعدنى أن أهدى فضيلتكم نسخة من كتاب «الحاكمية نظرية شرعية .. ونظرية واقعية» إجلالا لعلمك، وتقديرا لفضلك، ورمزا لمحبتى الكبيرة، ومحبة الجماعة الإسلامية كلها لك، وعنوانا لمودتنا لك، واعترافا بفضلك علينا وعلى الحركات الإسلامية، وعلى المسلمين جميعا ... فسيادتكم من كبار علماء أهل السنة قاطبة؛ بل أنت رأس رءوسهم ... وأرجو أن يعجبك هذا الكتاب، وينال رضاك..

من كلمات المنصفين للشيخ (١):

ومع هذا فقد يختلف الكثير من الشيخ القرضاوى؛ ولا عيب فى ذلك

---

(١) راسلت هؤلاء الدعاة، والتقيت بهم، وطلبت منهم الكتابة فلم يتأخروا عن الكتابة فجزاهم الله خيرا.

فالاختلاف أمر ضرورى وارد، والمنصف من يعرف لمن يخالفه قدرَه، وهذا عدد من الدعاة اختلفوا مع القرضاوى لكنهم لم يجحفوا الشيخ، ولم ينقصوه قدره، ومن هؤلاء:

١ - الشيخ سلمان العودة:

القرضاوى ... كما عرفته

عرفت الدكتور يوسف القرضاوى عندما كنت طالبا فى المرحلة المتوسطة، أرتاد (مكتبة النهضة ببريدة)؛ لأجد على رفوفها:

حتمية الحل الإسلامى، بينات الحل الإسلامى، ومشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، والحلال والحرام .. وعناوين أخرى، وكنت أغبط ذلك المؤلف الذى سطّر هذه الكتب الكبيرة، والتى تدل عنواناتها على الشمولية، والتنوع فى المعرفة.

ثم اتصلت بسلسلة طويلة من المؤلفات القيمة التى أنجزها الشيخ العلامة يوسف بن عبد الله القرضاوى، عبر سبعين عامًا، أو نحوها من عمر مديد .. وقد يسر الله لى قراءة كل ما وصلنى من كتب الشيخ.

كنت أحفظ فى صباى قصيدة فى السعادة:

قل للذى يبغى السعادة ... هل علمت من السعيد؟
إن السعادة: أن تعيش ... لفكرة الحق التليد
لعقيدة كبرى تحل ... قضية الكون العتيد
وتجيب عما يسأل الحيـ ... ـران فى وعى رشيد

وأخرى فى التغنى بأمجاد الأمة:

مسلمون مسلمون مسلمون ... حيث كان الحق والعدل نكونْ
نرفض الذلَ ونأبى أن نهون ... فى سبيلِ الله ما أحلى المنونِ

سائلوا التاريخ عنا ما وعى من حمى حق فقير ضُيّعَا
من بنى للعلم صرحًا أرفعا من أقام الدينَ والدنيا مَعَا
سائلوه ... سيجيبُ المسلمون!

ويقع فى يدى ديوان الشيخ؛ فأعرف أنها من شعره، بل وأعرف أن النونية التى طالما تغنيت بها فى الظهيرة، وكنت صبيا يافعًا، كانت له، وكانتَ وليدة معاناة قاسية فى السجن:

ثار القريضُ بخاطرى فدعونى أفضى لكم بفجائعى وشجونى
فالشعر دمعى حين يعصرنى الأسى والشعر عودى حين عزف لحونى

وكنت وجدتها فى كتاب (نافذة على الجحيم) الذى كان يوزع مجانًا آنذاك!

وأول مرة كُتب لى أن ألقاه فيها كانت جلسة فى بيت الدكتور: محمد ناصر، رئيس وزراء أندونسيا الأسبق، وزعيم حزب (ماشومى) - رحمه الله - وكان ذلك فى ذى الحجة سنة ١٤٠٩ هـ فيما أذكر.

وقد لقيته قبل أيام من كتابة هذه الكلمة؛ فإذا به يذكر ذلك اللقاء، فتعجبت من ذاكرته التى لم تبلها الليالى، زاده الله فهما وعلما وحكمًا...

ويتفضل الله على هذا الحبر بالعمر المديد؛ فيملأ الدنيا كتبًا، وأشرطة، وبرامج تلفزيونية، ومواقع إلكترونية، ومناشط إسلامية، وندوات ومؤتمرات، حتى ليصدق عليه أنه (الحالُّ المُرتَحِلُ).

ويستوعب الكثير من المتغيرات والطوارئ، ويبحث عن الحلول فينتج فقه الزكاة، وقد قرأته مرتين، ولعله أهم ما صنف مستقلاً فى بابه، وفتاوى معاصرة، وغيره كثير.

ويظل الشيخ محتفظا بطاقته وحيويته وحماسه، فما إن يتناول موضوعا - وإن كان تقليديًا مطروقًا - إلا وتنفجر العلوم بين يديه، ويفيض فى الحديث،

نصوصا شرعية، وإملاءات فقهية، وتقعيدات أصولية، وأشعارًا، وأمثالاً، وحكمًا، وأفكارًا، ومسائل..

ويهتز للحديث وهو فى الثمانين؛ فكأنه فى الثلاثين، توقدًا واندفاعًا وحيوية، وربما غضب وهو على المنبر حتى قلنا: لَيَخِرَّنَّ بِهِ، كما قاله بعض الصحابة رضى الله عنهم.

قضايا الأمة تعيش فى وجدانه، وتطلعاتها تفيض من لسانه، وتفاؤلها قبس فى بيانه؛ فهو من القلائل الذين جمعوا الموسوعية، والمعرفة، والتوقد والحركة، والديمومة والدأب، واتساع الناحية، فله فى كل غنيمة سهم، وفى كل ميدان نصيب.

ولست أبالغ إذا قلت: إن الموافق والمخالف يقرّون له بالتقدم والتفوق، ولا أحد يدعى له ولا غيره العصمة - خلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - ولكن حفظ مقامات الرجال من المروءة والدين، وهو عمل الأبرار والمقتدين، وفى ذلك تربية للأجيال على المعالى، وتعويد على الإيجابية والنظر المنصف، وإبقاء على رجالات الأمة وعلمائها وقادة فكرها.

والفقيه المجتهد هو بين أجر وأجرين، ولا يُجزم له بالصواب فى كل مسألة، كما لا يُجزم لمن خالفه، ولا يسع كلاً إلا ما انتهى إليه اجتهاده، وفهمه من دلالة النص.

ولو أن منتحلاً لقول هو عند الله خطأ، ولكنه كان يعتقده صوابًا، لو أنه ترك هذا الذى يعتقده، وقال بخلافه تقليداً أو تطييبًا لخاطر، وكان ذلك صوابًا عند الله لما ظفر بأجر المجتهد، فضلاً عن الأجرين، فيما أحسب؛ لأنه لم يجتهد أصلاً، ونطق بخلاف معتقده وضميره، وصوابه كان اتفاقًا غير مقصود، ولو قيل بتأثيمه لم يبعد.

فيبقى لنا السماحة فى دائرة المختلف فيه، وحسن الظن بالمخالف، وسعة

الصدر عليه، وتركه واجتهاده، مع إعمال نظام النصيحة بين المؤمنين فى الخطأ الصريح، ونظام الحوار والمناظرة فى المحتمل.

ولو أن طلبة العلم والفقه ورجال الشريعة اعتنوا بهذا وجاهدوا أنفسهم عليه؛ لانكف كثير من الشر بينهم، واستقامت علاقة بعضهم ببعض، ولحفظوا أنفسهم وإخوانهم من زراية الشامتين، وجراءة المجترئين، ولوجدوا وقتًا للنظر فى القضايا الكبيرة والمهمة، ومتابعة الجديد، والمشاركة الفاعلة فى صناعة الحياة، وبناء نهضة الأمة والخوض العميق فى المعضلات بدلاً من إعادة إنتاج المعارك والحماس المفرط لها.

وفق الله الشيخ الدكتور الداعية الفقيه يوسف بن عبد الله القرضاوى لكل خير، وأوفى عمره فى طاعته، وتقبل منه صالح عمله، وتجاوز عنه فى أصحاب الجنة، وعد الصدق الذى كانوا يوعدون.

٢ - الشيخ عائض القرنى:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد: فالشيخ الدكتور العلامة الداعية الفقيه يوسف القرضاوى علم من أعلام المسلمين فى العصر الحاضر، عرفته قبل ثلاثين سنة بواسطة كتبه النافعة المفيدة؛ خاصة كتابه «الإيمان والحياة»، وكتاب «فقه الزكاة» وغيرها من الكتب، وقرأت له عشرات الرسائل، وشاهدت له كثيرًا من البرامج عبر القنوات الفضائية، وزرته ببيته بقطر مرتين، والتقيت به فى بعض المؤتمرات.

والدكتور يوسف القرضاوى عَلَم لا يحتاج إلى تعريف، فهو من أشهر العلماء فى وقتنا الحاضر إن لم يكن أشهرهم، وهو صاحب فقه واسع، وثقافة عالية، وفهم دقيق لمقاصد الشريعة، ومتطلبات العصر، وهو ممن يشار إليه فى مسائل الاجتهاد، وقد أفتى وألف، وحاضر وصنف، ووعظ وعلم، وقد رزقه الله همة عالية، ونشاطًا منقطع النظير، فأثرى الساحة الإسلامية بالكتب والرسائل والمقالات والبرامج، وموقعه فى الإنترنت من أشهر المواقع على الإطلاق، وبرنامجه

فى قناة الجزيرة: «الشريعة والحياة» من أنجح وأنفع البرامج، وله جهود مشكورة وأعمال مأثورة فى الدفاع عن الملة، والجهاد بالقلم واللسان؛ لخدمة قضايا الأمة.

ومحاسن الشيخ حفظه الله كثيرة، وخصال النبل فى شخصيته مجتمعة، وله مواقف قال فيها كلمة الحق صريحة صادقة، وهذا الذى قلته فيه قليل من كثير، وهو إن شاء الله قول أهل العدل والإنصاف، خلافا لما ذهب إليه من غلا فى شخصه، وبرأه من الأخطاء، ورفعه فوق منزلته؛ تعصبًا وتكلفًا.

وهناك قوم آخرون أخطأوا فى الحكم عليه، وبدّعوه وضللوه - صانه الله من ذلك - وإلا فهو من العلماء العاملين الذين ليسوا معصومين:

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفًا من البحر أو رشفًا من الديم

وكلنا راد ومردود عليه إلا رسول الله ﷺ.

وأُخـــذ [1] على الشيخ الداعية: أنه شديد اللهجة على بعض الأنظمة الحاكمة، وفى المقابل فُهم منه المداراة والموادعة لبعض الأنظمة الأخرى وهذا الذى أقوله يتحدث عنه طلبة العلم، حتى من محبى الشيخ.

والدكتور أديب وشاعر، ولكن عتبى عليه أنه فى برامجه الفضائية إذا استرسل أهمل العربية، وأحيانًا يتكلم باللغة الدارجة [2]، وليس فى حاجة لهذا فهو عالم موهوب، وخطيب مصقع، وليت الدكتور يوسف راجع موقفه من حوار الديانات، والاجتماع بالباباوات والحاخامات، فليس بحاجة إلى هذه التنازلات،، فقد أعزه الله بالآيات البينات، والعظات البالغات:

خذ ما رأيت ودع شيئًا سمعت به فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

---

(١) صدّر الشيخ عائض كلامه هنا بالفعل المبنى للمجهول، ويفهم منه أنه غير موافق لأصحاب هذا القول، وكلامه السابق عن الشيخ يؤيد هذا الفهم.

(٢) الشيخ لا يستخدم اللهجة الدارجة إلا بقدر الملح فى الطعام، كما أنه لا يستخدمها إلا فى تقريب معنى يريد تقريبه، وأستطيع القول بأن كل الدعاة يفعلون ذلك بما فيهم الشيخ عائض.

وهذه الملاحظات نزرة يسيرة، تنغمر فى بحر محاسن الشيخ (وإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث) فكيف وهو كالنيل عطاءً وخيراً:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

من شعر الشيخ عائض فى الشيخ القرضاوى:

وفى اجتماع الجمعية الثانية للاتحاد العالمى لعلماء المسلمين، تحدث الشيخ عائض القرنى عن الاتحاد، وأثنى على رئيسه (الشيخ القرضاوى) فقال:

قالوا: اتحاد فقلنا وحدة الدار والمجد والنصر والتأريخ والثار
دعوت ربى لقرضاوينا فغدا مُسلّم العرض من عيب ومن عار
شهم أريب فقيه سيد فطن فى نصر ملته كالأغطف الضارى
سبعون عاما وآثار الجهاد به ما أجمل الوجه من بشر وأنوار
يا يوسف المجد جدد يوسفا فلكم من يوسف الملك بعد الحبس والغار

٥ - آثاره على تلاميذه .

امتاز الشيخ القرضاوي بكثرة مشايخه ومعلميه ، مما ألزم الشيخ القرضاوي أن يكون قرضاوياً ، ولم يكن ليقبل منه أن يكون أقل مما أصبح عليه ؛ ولكن الشيخ في إنتاجه من ناحية التلاميذ لم يكن بالقدر الكافي ، ولعل هذه إحدى سلبيات الشيخ وواحدة من بعض المآخذ التي تؤخذ عليه .

تلاميذ الشيخ :

وتلاميذ الشيخ نوعان :

الأول : تلامذة كتاب وهذا النوع ما أكثره ، فلا تكاد تخلو بلدة أو قرية إلا و للشيخ فيها تلاميذ ومحبون .

الثاني : من جثو ركبهم بين يديه، وتلقوا العلم مشافهة منه، وهؤلاء قلة،

ولقد وجهت الانتقادات إلى الشيخ في هذا الموضوع وقد كانت إجابة الشيخ في إحدى المقابلات التلفزيونية بأمور أهمها :

١ – الحيلولة بين الشيخ وبين لقاء الجماهير في مصر في فترة الخمسينيات والستينيات.

٢ – انتقال الشيخ من مصر إلى قطر، حيث أن الجو في قطر غير مناسب لانتقاء التلاميذ، خصوصاً وأن أهلها لم يتعودوا على أن يجثوا ركبهم بين يدي العلماء .

٣ – تعدد أسفار الشيخ .

لكن هذا لا يعني أن الشيخ قد فرط في هذا الجانب، لا، فهو وإن كان مقلا فليس معدماً ، ومن هؤلاء: الدكتور: علي القرة داغى، والدكتور: عصام البشير، والدكتور: أحمد الحمادى، والدكتور: خالد السعد، والشيخ: مجد مكى، والعبد الفقير كاتب هذه الكلمات، وغيرهم كثير.

* * *